



جامعة تكريت

كلية التربية للبنات

قسم التاريخ

المرحلة: الثالثة

العام الدراسي: 2025-2026

المادة: التحديث في الدول الإسلامية المعاصرة

عنوان المحاضرة: النظريات المفسرة للتحديث: نظرية التحديث الغربية

المحاضر: م. د. حميد فارس حسن

الايمل الجامعي: almosawee.hameed@tu.edu.iq

ظهرت نظرية التحديث أواخر خمسينات القرن الماضي، في الولايات المتحدة الأمريكية، ومن أشهر روادها روستو وهنتغتون وليرنر... الذين انطلقوا من تساؤل أساسي هو: لماذا تبقى بعض البلاد فقيرة ومتخلفة؟ وكان الجواب أن هناك ثلاثة مشكلات تعيق التصنيع في البلاد الفقيرة، وهي:

- 1- عدم امتلاك هذه البلدان شركات كبيرة بما يكفي لإنشاء المصانع الحديثة المطلوبة للتنافس مع الشركات الكبرى في أوروبا وأمريكا الشمالية.
- 2- ان قدرة الشركات في البلاد المتقدمة على تحصيل مقادير كبيرة من رأس المال مكنت من تطوير وتبني تقنيات جديدة باستمرار، وذلك ما كان ينقص البلاد الفقيرة بشكل واضح.
- 3- أن الملامح الثقافية والمؤسسية والتنظيمية للبلاد الفقيرة تعد عقبات في طريق نموها وتحولها الديمقراطي.

وبناء على هذه الاستنتاجات، قرر هؤلاء المفكرون، أن البلدان الفقيرة، هي كذلك، لأنها تحتاج إلى رساميل كبيرة، وتكنولوجيا وتنظيم اجتماعي حديث وقيم حديثة.

وفي سبعينات القرن الماضي شهدت بعض جوانب نظرية التحديث تغييرات على يد علماء الاجتماع كدايفيد ماكلياند، واليكس انجلز وديفيد سميث، الذين حاولوا تغيير بعض وجهات نظر أصحاب نظرية التحديث الكلاسيكية التي تركز على مجرد اكتساب أفراد وشعوب دول العالم الثالث مجموعة من السمات والتقاليد والاتجاهات والآراء الغربية ليصبحوا بموجبها، افرادا أو مجتمعات متطورة.

يرى ماكلياند وجماعته أن التخلف حالة أصلية وذاتية بالمجتمعات المتخلفة أفرزتها طبيعتها البنيوية المتخلفة، وإذا أرادت هذه المجتمعات التقدم والتنمية فيجب عليها استعارة وتقليد النظم الغربية وإحلالها محل نظمها التقليدية، واقتفاء أثر هذه الدول حيث أن نموذجها هو النموذج الأمثل للتنمية. وبذلك عُدَّ التحديث عملية تحول في اتجاه الأنساق الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الغربية.

وترى نظرية التحديث أنه لإحداث التنمية لا بد من انسياب موارد وقدرات من الدول الصناعية المتقدمة إلى الدول النامية في المجالات الأربعة الآتية: رأس المال؛ التكنولوجيا الغربية الحديثة والمهارات المرتبطة بها؛ والمؤسسية ك(المؤسسات الرأسمالية الخاصة ومؤسسات السوق الحر)؛ والقيم والخصائص الثقافية والسلوكية التي يتصف بها المجتمع الرأسمالي الغربي.

ولتحقيق تدفق لرأس المال الاستثماري، ودفع البلدان المتخلفة خارج دائرة الفقر وعوز الاستثمار، فإن عليها السماح لشركات البلدان الغنية بالدخول الحر إلى أسواقها، والاعتماد على القوة العاملة الرخيصة المحلية والموارد الخام المتوفرة والقريبة.

يعاب على هذه النظرية تركيزها على الجوانب الاقتصادية دون الجوانب الأخرى وخاصة السياسية؛ فالتراكم المتزايد لرأس المال يقود إلى عملية التحديث التي سوف تؤثر حينئذ في عناصر أخرى للمجتمع مثل السياسة والقيم. فلقد كانت الوصفة التقليدية المحببة إلى مناصري نظرية التحديث هي: (استدن، استورد، قلد، ثم استهلك). وقد اسهم عدد من المفكرين بإضافات نظرية هامة الى هذه النظرية، وسيتم الإشارة هنا الى أهمها:

1- روستو ونظرية مراحل النمو

من أكثر الافتراضات النظرية في اطار نظرية التحديث طموحا ، تلك التي قال بها العالم الأميركي (والتر ويتمان روستو) الذي أكد في كتابه (مراحل النمو الاقتصادي) على ان النمو الاقتصادي لا يتوقف فقط علي مستوى الاستثمار وإنما يتوقف بدرجة أكبر علي مكوناته الداخلية والعلاقة بين قطاعاته المختلفة ، ولقد أشار

إلي تلك الفكرة عند توضيحه لكيفية الانتقال من مرحلة إلى أخرى من مراحل النمو الاقتصادي ، كما نظر إلى التطور الاقتصادي باعتباره تفاعلا بين القوى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، ومن ثم حصر مراحل النمو في خمس مراحل أساسية تمر بها جميع المجتمعات المتقدمة والنامية وهي:

1- مرحلة المجتمع التقليدي: وفيها يقوم الإنتاج على أساس العلوم والفنون التي كانت شائعة قبل عصر نيوتن (1642-1727م).

2- مرحلة التهيؤ للانطلاق: حيث يتجه المجتمع إلى تجاوز حالته التقليدية والدخول في مرحلة انتقالية، حيث تشهد هذه المرحلة انتشار التعليم ولو بين طبقة محدودة، وظهور البنوك والمؤسسات، وزيادة الاستثمار، وظهور طبقة واعية تؤمن بالتجديد، واتساع نطاق التجارة الخارجية والداخلية.... الخ.

3- مرحلة الانطلاق: وفيها يتم القضاء على كل العقبات والقوى التي تقف في طريق النمو المضطرد، ويتم التوسع في صناعات جديدة، ويتقدم الفن الإنتاجي.

4- مرحلة الاتجاه نحو النضج: وهي المرحلة التي يؤكد فيها المجتمع قدرته على الحركة خارج نطاق الصناعات الأصلية التي دفعته للانطلاق، بحيث يستطيع أن ينتج أي شيء يرغب فيه.

5- مرحلة الاستهلاك الوفير: وتشهد هذه المرحلة ارتفاع متوسط دخل الفرد، زيادة اعتمادات الرفاهية الاجتماعية، زيادة نسبة سكان المناطق الحضرية، أي المجتمع الرأسمالي بحسب روستو.

وقد واجهت افكار روستو التحديثية عدة انتقادات منها:

1- القول بأن المجتمعات التقليدية تعيش منعزلة، ادعاء غير صائب فالיום لا نكاد نجد أيا من المجتمعات، حتى البدائية منها، يمكنها العيش منعزلا، كما اكدت بعض الدراسات الأنثروبولوجية استحالة بقائها معزولة.

2- رآيه بأن المجتمعات النامية كي تستطيع أن تتطور يجب أن تمر بنفس المراحل التاريخية التي مرت بها المجتمعات المتقدمة بعيدة عن واقعية التغير العالمي الذي تمر به المجتمعات الإنسانية حيث تمكنت بعض البلدان من التطور والنمو دون المرور بمراحل النمو هذه.

3- أغفل روستو عاملا أساسيا في التطور الاقتصادي والتغير وهو الثورة إذ ان هناك كثير من الأدلة التي تبين دور الثورة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

4- اعتمد روستو في أنموذجه لتطور المجتمعات على مؤشرات رأسمالية مرتبطة بالصناعة والتجارة بالأساس متجاهلا المؤشرات البشرية والاجتماعية والثقافية.

أن هذه الآراء تتطوي على مغالطة كبيرة، إذ لا يمكن قصر التنمية على النمو بمعناه الكمي، فرغم أن النمو له أهميته إلا أنه غير كاف للتنمية لعدم شموله العمليات الاجتماعية التي لا يمكن تفسيرها من خلال مراحل صارمة كمراحل روستو انفة الذكر.

2- نظرية ليرنر في التحديث

اما عالم الاجتماع الأميركي دانيال ليرنر فقد أكد في كتابه (تجاوز المجتمع التقليدي) على أن التحديث الاقتصادي والاجتماعي يعني القضاء على الأمية وارتفاع مستوى التعليم وانتشار وسائل الإعلام، مما يؤدي إلى اكتساب الناس نظرة أوسع تسامحاً تجاه الآخرين وانفتاحاً على الحياة العامة وانشغالاً بالانشاط السياسي، كنتيجة للتدفق المتنوع للمعلومات وإمكانية الحصول عليها فالتقدم الاقتصادي والاجتماعي، وفقاً لهذه النظرية، يوسع مدارك الناس ويدعم اتجاه التسامح عندهم، ويحول دون اقتناعهم بالمذاهب المتطرفة، ومن ثم يزيد من قدرتهم على الاختيار العقلاني.

وقد وضع رواد نظرية التحديث مجموعة من المؤشرات للتدليل على التقدم الاقتصادي والاجتماعي أهمها: معدل الدخل القومي الإجمالي، ومستوى التصنيع، والتحضر (التمدين) والتعليم، ووسائل الإعلام، ونمو طبقة وسطى عصرية تحل محل النخب التقليدية من ملاك أرض وشيوخ عشائر وقادة محليين. وتصوروا أن ذلك يمكن أن يوجد فرص أفضل لإشباع حاجات مختلف الجماعات، وحل مشكلات توزيع الدخل مما يدعم الاتجاه إلى التسامح والتعاون والمواءمة السياسية.

لذلك فإن الإنسان التقليدي غير قادر على صنع التغيير بنفسه، وأنه يحتاج إلى عون من الثقافة الغربية الحديثة حيث تحوله من إنسان تقليدي غير قادر على الاختيار الحر، والتفكير الخلاق الرشيد إلى إنسان حديث (Modern Man) منجز وحر وفاعل، قادر على تصور ما هو واجب عليه وما هو حق له.

وبحسب اليكس انجلز فإن الخصائص التي تميز الإنسان الحديث تتمثل بـ: الاستعداد للخبرات الجديدة، وتقبل التجديدات والتغيير، والعقل المفتوح الليبرالي، والتوجه الديمقراطي، والمحافظة على الوقت والمواعيد، والتوجه نحو التخطيط، والالتزام والاعتقاد في التقدم، والإيمان بالعلم والتكنولوجيا.

ومع اختلاف تحليلات ورؤى منظري نظرية التحديث باتجاهاتها كافة إلا أن هناك خط عام يربط بين هذه التحليلات والرؤى يتمثل في:

- 1- أن التنمية تتطوي على التقدم بمفهومه الغربي الكمي الذي يعني مزيداً من فرص الحصول على السلع الغربية بالأساس.
- 2- يعتبر النموذج الحديث للمجتمع الغربي نموذجاً مثالياً ومرجعاً تحليلياً وتصورياً للمجتمعات التي يجب أن تأخذ في التنمية.
- 3- أن القيم والنظم في المجتمع التقليدي تعتبر تجلياً للتخلف وسبباً له في ذات الوقت إلى جانب كونها تشكل معوقات أساسية للتحديث وأن الدول المتخلفة ستأخذ في التنمية عندما تتخلص من المعوقات الحضارية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية الموروثة من أبنية المجتمع التقليدي.
- 5- ينبغي على المجتمعات المتخلفة أن تسير في نفس الطريق الذي سارت فيه المجتمعات الرأسمالية الغربية للوصول إلى التقدم وذلك في إطار المراحل التي حددها منظريه.
- 6- أن مجموعة الأفراد الموهوبين ذوي الطموح العالي سيكونون رأس الحربة في تحقيق التقدم.
- 7- أن التحول في المجتمعات المتقدمة كان نتيجة عوامل داخلية، أما الدول المتخلفة فعليها أن تأخذ أو تستورد القيم والسمات الحديثة من المجتمعات المتقدمة.

المراجع المعتمدة في اعداد المحاضرة

- احمد زايد، الدولة بين نظريات التحديث والتبعية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، 2008.
- محمد أبو العنين، اتجاهات علم الاجتماع النظرية والمنهجية في دراسة بنية النظام العالمي، المجلة المصرية للعلوم الاجتماعية والسلوكية. متاح على الرابط: <https://ejsbs.journal.ekb.eg>.
- واثق علي الموسوي، نظرية التحديث ومنظريها، في موسوعة اقتصاديات التنمية، ج1، 2008. متاح على الرابط: <https://almerja.com> < reding